

فزادوا ضحكاً وركبوه بالعبث من جميع نواحيه، وجعل هذا يقول له: «لا، معاذ الله! وهل يليق أن نربح إلا الجنيه والجنهين؟» وذلك يجذبه من كسائه ويصيح به: «يميناً لو ربحتا النمرة الكبيرة لنقذفن بها في التراب، وهل ثمانية عشر ألف جنيه مما يساوي عناء السؤال؟» ... وذلك يناديه: «اقعد يا شيخ اقعد، لا كانت النمر الكبيرة ولا كان مَنْ يسأل عنها، إنما القناعة كنز لا يفنى، وإنما المعول على الدراهم والملاليم! ... وآخر يصطنع الجد ويقول وصاحبنا يتوقع منه الإنصاف: «لا، لا يا إخوان، أنا أعرف ما ينتظر أمين ... إنه ينتظر كشف الخسائر والغرامات!»

فلم يجد الرجل مخلصاً من هذه الحملة المتداركة إلا أن يلوذ هرباً بمكتب المواساة ويرجع إليهم بأرقام النمر الكبيرة ويقتحم في سبيل ذلك زحام المزدحمين الذي تلاحقوا من كل صوبٍ في تلك اللحظة، وتكوّفوا حتى أغلقوا مسالك المكتب ... وعناء على كل حال أخف من عناء.

وأفلح الرجل، ووصل إلى الكشف، وكتب الأرقام الأربعة، ورجع بها ليقراها على أولئك المشاغبين الذين لا يرحمون، ولم يبقَ إلا شيء يسير جداً هو الذي فاته يحسب حسابه، وهو قراءة الأرقام.

فإن الأرقام الملعونة تأمرت عليه مع المتآمرين، وأبت أن تنقرئ لا من اليمين ولا من الشمال ولا من الأعلى ولا من الأسفل، وراح المسكين يجاهد ويعالج، وراحت هي تأبى وتصر على الإباء ... ويحمر وجهه ولا فائدة! ويحملك ولا فائدة! ويحاول أن يفسر عجزه ولا فائدة! حتى رحمه أحد الصحاب فانتزع منه الورقة فإذا هي تذكرة ترام، وإذا بالأرقام مكتوبة على صفحة التذكرة التي تمتلئ بالكتابة، ومن ورائها صفحة أخرى يوشك أن تكون فارغة لم يلتفت إليها أمين لأنها — لأمر ما لا يعلمه هو ولا يعلمه أحد — غير جديرة بالالتفات!

لقد كانت الحملة الأولى رحمة سماوية بالقياس إلى الحملة الأخيرة؛ فأينما تحول ببصره فثمة لسان بارز أو تحية ساخرة أو تبويخة حاضرة، وهو صامت يغوص في أعماق القريحة عن المعاذير والمسوغات، ولا تطمئن عزيمة الماضي إلى التسليم والاعتراف. ومن عادته إذا اعتذر أن يجيء بطرفة أطرف من الأضحوكة الأصيلية التي أثارت الضحك والمشغبة، وعرف أصحابه ذلك منه فطفقوا يحرضونه على الكلام كلما بدرت منه تحفة من تحفه المأثورات، وبالغوا في الإلحاح يومئذ لينظروا بماذا يتجلى عليه السهو المبارك بعد تلك السهوات الألعيات، فلم يخلف ظنونهم آخر الأمر فتكلم، وكان ما قال بيت القصيد وآية الآيات في ذلك اليوم الخصب.